

22 ديسمبر 2008

هل تستطيع «الأمم المتحدة» إنقاذ حياة البشر؟

* كتب: محمد فرج

تعود فكرة إقامة جمعية عالمية للبشرية إلى مئات -إن لم يكن آلاف- السنين. ويزعم البعض أن فلاسفة الصين القدماء، أو حكماء الإغريق كانوا يناقشون في هذه العصور السحيقة فكرة إقامة نظام عالمي. وعلي مدار التاريخ وخاصة في أعقاب الحروب الدموية الكبيرة ظلت الفكرة تتقدم وتراجع، ولكنها ظلت حلما يراود العديد من الفلاسفة والساسة ورجال الدين. ومع مجيء القرن العشرين الذي شهد تطورات فريدة في تاريخ البشرية. اتجهت الدول القومية- التي استطاعت خلق حدود مستقلة علي المستوي السياسي والجغرافي- إلي العمل معا تدريجيا لإقامة منظمات دولية لدعم السلام وكبح العدوان وترتيب الأمور الدولية وتشجيع التنمية الاجتماعية، وغير ذلك من الأمور التي يفترض انها تهم بني الإنسان المجتمعين في دول قومية منفصلة.

وأكثر الهيئات التي استطاع البشر صياغتها هي منظمة الأمم المتحدة التي تأسست عام 1945 علي ايدي الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. والتي ورثت -المنظمة الجديدة- الكثير من ملامح التجربة الأولى في ميدان التعاون الدولي والتي تمثلت في عصبة الأمم.

رحلة تطور الأمم المتحدة عبر ستة عقود هو موضوع كتاب "برلمان الإنسان: الأمم المتحدة الماضي، الحاضر، المستقبل" للمؤرخ الأمريكي بريطاني الأصل بول كيندي، والذي كان آخر ترجمات الراحل د. رءوف عباس كأنما أراد ان تكون آخر اعماله ذات رسالة عالمية تهم القارئ العربي كثيرا. حسبما ذكر عباس في تقديمه للكتاب حيث كان المحفز له لترجمة الكتاب هو اقتنار المكتبة العربية إلي مراجع شاملة التي تتناول "الأمم المتحدة" تناولاً شاملاً منذ نبتت فكرة العمل الدولي في اذهان بعض المفكرين والساسة حتي وصلت إلي إنشاء المنظمة العالمية الاكثر استمرارا حتي الآن .

فما يوجد لا يتجاوز فصولاً مختصرة في بعض الكتب الدراسية في القانون الدولي أو العلوم السياسية أو التاريخ لكن لا يوجد كتاب عربي يتناول الأمم المتحدة في حاضرها وماضيها ويستشرف مستقبلها علي ضوء ما يشهده العالم من تغيرات سريعة الإيقاع.

الكتاب -الذي تقع ترجمته العربية في 444 صفحة من القطع الكبير- هو ثمرة جهد فريق من الباحثين الذين شاركوا في مشروع أعده قسم "الأمم المتحدة" بجامعة بيل الأمريكية بالتعاون مع مؤسسة فورد استغرق إعداده عامين 1993-1995 وتألف هذا الفريق من باحثين في القانون الدولي والعلوم السياسية والاقتصاد والاجتماع والتاريخ. ونشر التقرير الخاص بهذا المشروع عام 1995 تحت عنوان "الأمم المتحدة في نصف القرن الثاني من عمرها"، وقد قام المؤلف بعد ذلك بالعمل علي الكتاب بمساعدة بعض من عمل معه في التقرير السابق إلي جانب بعض خبراء المنظمة وقاموا بمسح كل المصادر التي تتصل بالموضوع من قريب أو من بعيد واستمعوا إلي العاملين بالأمم المتحدة العاملين في مختلف الميادين ثم عكف كيندي وحده علي الكتابة أكثر من عام ليصدر الكتاب في طبعته الأولى في أواخر 2005.

ومؤلف الكتاب هو المؤرخ بول كيندي البريطاني الاصل الأمريكي العمل والإقامة- ولد في شمال إنجلترا 1945- والذي ذاعت شهرته عندما نشر عام 1988 كتابه الذي حمل عنوان "قيام وسقوط القوي الكبرى 1500-2000" حيث قدم كيندي نظريته الخاصة بسقوط الدول الكبرى الذي أرجعه إلي اتساع رقعة الامبراطورية، واضطرار القوي الكبرى إلي الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة تحت السلاح وتعمل في ميادين مختلفة، مما يشكل

حملاً ثقيلًا بنوء تحته اقتصادها، ويترتب علي ذلك تفككها، وتنبأ بأن يشهد ختام القرن العشرين تفكك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. وقد جذبت هذه الرؤية الانظار عندما سقط الاتحاد السوفيتي وانظمة اوربا الشرقية خلال عامين من صدور الكتاب الذي ترجم إلي 23 لغة، وبيعت من طبعته الإنجليزية وحدها مليون نسخة واصبح كيندي مؤرخاً ذنح الصيت في العالم كله.

وهو يشغل كرسي الاستاذية في التاريخ بجامعة ييل، حيث يركز علي التخصص في الشؤون الدولية مع التركيز علي الجانب الاستراتيجي. وقد عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي بيل كلينتون، ولبطرس غالي إبان توليه الأمانة العامة للأمم المتحدة، ويتولي الآن إدارة مشروع جامعة ييل للامن الدولي. وقد ألف خمسة عشر كتاباً كان "برلمان الإنسان" آخرها.

يصف كيندي كتابه بأنه "تاريخ فكري" لامم المتحدة فهو، يهتم بالأفكار التي نبعث منها السياسات العامة للمنظمة العالمية ومخرجاتها، يفتتح الكتاب بمقطع من قصيدة للشاعر الإنجليزي ألفرد تنيسون كتبها عام 1837 تحمل عنوان "لوكسلي هوم" - وهو اسم لمكان مهجور في لندن- تتحدث عن مستقبل العالم بحس ينبئ عن حروب جوية واختراعات مدمرة وعن حلم بالتوافق إلي كيان عالمي يضع حداً لتدمير البشر لتقييم "برلمان الإنسان".

وتذكر الملاحظة التي تتبع القصيدة أنها كانت بالغة التأثير علي نطاق المتحدثين بالإنجليزية، وظلت تحمل هذا التأثير لتستقر في مرور قرن أو أكثر في حافظة نقود سيناتور أمريكي يدعي هاري ترومان أصبح فيما بعد في أبريل 1945 من الذين اتخذوا قرار إقامة منظمة عالمية جديدة فعندما سأله بعض أعضاء مجلس الشيوخ ومعاونيه أثناء مؤتمر سان فرانسيسكو- الذي انعقد في اعقاب الحرب العالمية الثانية- عن مدى التزامه بإقامة منظمة دولية أخرج قصاصة القصيدة من حافظته وقرأها علي سائليه.

في مشهد رومانسي تغيب فيه شخصية ترومان صاحب قرار إلقاء قنبليتي هيروشيما ونجازاكي اللتين اودتا بحياة آلاف من البشر عبر اجيال متعاقبة ليبدو ترومان آخر ظل يحمل حلم البرلمان العالمي لسنوات حتي اتاحت له فرصة تحقيقه.

هذه اللغة الرقيقة التي استعملها كيندي في ملاحظته حول عنوان الكتاب تتجلي بأشكال مختلفة عبر فصول الكتاب، وكما يذكر د.عباس".." حرص المؤلف أن يبدو محايداً في تحليله للكثير من مهام الأمم المتحدة، فيما عدا ما يتصل منها بالشرق الأوسط "اذ يسهب كيندي في رصد اعتداءات كثيرة عبرمختلف أنحاء العالم ولكن تتلاشي هذه اللغة الرائدة عند الحديث عن إسرائيل أو تتحول إلي الحرص الشديد في انتقاد السياسات الأمريكية!!

ولكن هذا كما يعقب المترجم لا يقلل من أهمية الكتاب الذي يشمل ثلاثة اقسام، يروي الأول منها قصة الخطوات الاولي لحكومات البشرية في الطريق إلي الاتفاقات الدولية، ويلقي الضوء علي المفكرين والمواطنين الذين اثاروا فكرة الحاجة إلي تعاون عالمي واسع النطاق وصولاً إلي تكوين وتطور عصابة الأمم المؤسسة المتداعية، والتي قامت علي انقاضها -وورثت تركتها- المنظمة الجديدة.

ثم يتعرض القسم الثاني من الكتاب والذي يشمل ستة فصول تعالج المظاهر الرئيسية لرسالة المنظمة الدولية، وكيف تمت خدمة كل هدف من أهداف المنظمة ومستوي تلك الخدمة في العقود الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الثانية والوقت الراهن.

فيما يشمل القسم الثالث تصوراً حول دور الأمم المتحدة المستقبلية ويطرح إجابة لتساؤل فحواه هل نستطيع أن نجعل المنظمة الدولية الوحيدة قادرة أن تعمل بشكل أفضل كي تساعد البشرية علي شق طريقها في القرن الحالي المضطرب، حيث إن جانباً كبيراً من تاريخ القرن العشرين يعتمد علي الاستجابة لهذا التحدي.

http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=203550